

نجم بمواصفات مختلفة يُعيد الألق إلى الشاشة المصرية

محمد ممدوح

ممثّل يعشقه الجمهور وينتظر مفاجآته



● فيلم "إبراهيم الأبيض" مع النجم أحمد السقا هو البداية الحقيقية لممدوح، ومن بعدها لم يشارك في أي عمل سينمائي أو درامي، إلا وخرج منه إلى عمل آخر، ودور أكبر يظهر الكثير من إمكانياته إلى جانب خفة الظل التابعة من كل موقف يؤديه.



● عندما شارك في عملين متناقضين تماماً خلال دراما شهر رمضان الماضي، عاش أدق التفاصيل، بملامحها وصفاتها ومزاياها وعبوبها دون أن يطغى أي منهما على شخصيته. قام بدور تاجر مخدرات صاحب أفكار شيطانية، يتحدث اللهجة الصعيدية في مسلسل "ولد الغلابة" مع أحمد السقا، ودور ضابط شرطة يطارد مجموعة قتلة، في مسلسل "قابيل".

أميرة فكري
كاتبة مصرية

الضابط والبلطجي واللص والقاضي والطبيب والخادم وابن الزوات والخائن والرومانسي، بعكس الكثير من أبناء جيله، الذين يخاطبون فئة بعينها، ويتحدثون بلسانها فقط ويروجون لأفكارها، ويعيدون تكرار نفس الأدوار. أنا محمد ممدوح، قبل الفن، وبعد الفن، لا تغيير، وترتبي على الساحة يحده الجمهور". وعندما سُئل عن الفنان الذي يستحق "نمبر وان"، أجاب "لا يوجد في الفن هذا التوصيف، ولا يمكن أن يحدد الفنان جماهيريته وترتيبه، لأن ذلك يعتبر نوعاً من الغرور القاتل الذي يجعل بانتهاء مسيرته صاحبه".

صحيح أن ممدوح فنان بلا معارك أو خصومات، وهي سمات نادرة في الوسط الفني المصري، لكن حديثه فهم أنه يحمل إسقاطاً مباشراً على زميله الشاب محمد رمضان، بعدما قدم نفسه على أنه يحتل الصدارة الفنية، اجرا وجماهيرية، من خلال أغنيته الشهيرة "نمبر وان".

يدرك ممدوح، أن لقب النجم الأول تمنحه الجماهير فقط، لذلك استمرت علاقته بالناس ذات خصوصية، فهو يعتبر أن دخول منطقة تمثل ملكية خاصة للمشاهدين لعب بالنار، ومغامرة غير محسوبة، وغير مقبول أن يقوم الممثل بدور القاضي الذي يحكم على أدائه الفني.

تظل الشريحة الأكبر من محبي ممدوح، من هواة الشاشة النظيفة، إذ تعتبره مرآة لها، وربما لا يدرك هؤلاء أن تمسكه بالبعد عن مشاهد الابتذال والخروج عن الآداب العامة يرتبط بجذور عائلته، فهو ابن لآب بسيط الحال ولد في صعيد مصر، حيث التشبث بعادات وتقاليد صارمة، وسافر إلى دولة الكويت بحثاً عن لقمة العيش، وهناك وُلد وشاهد اغتراب أبيه، وكيف نحت في الصخر لجني المال.

نشأ ممدوح وسط ظروف اقتصادية رسخت بداخله ملامح وتقاليد الشخصية المكافحة، واستمرت معه حتى بعد دخول مجال الفن، الحصول على لقب نجم شبّك. لم يتنازل عن موروثاته الحياتية والأخلاقية التي تمثل دستوراً يصعب تغييره، بتبدل الظروف والأحوال، ولم يتمرد على جمهوره، أو يتعالى عليه، بل اعتبره عائلته الكبيرة، التي يحتمي بها.

من يركّز قليلاً في المسيرة الفنية لتاييسون المصرية، يجد إنساناً ذكياً للغاية، وقارئاً جيداً للوسط الفني، يتعلم من أخطاء النجوم، ولا يكرها، بالكلام أو المواقف الشخصية والمهنية، لذلك يظل من الفنانين القلائل الذين حضنوا أنفسهم من سهام النقد وأصبحوا في مامن منه طوال الوقت، بحكم الحصانة الجماهيرية التي يتمتع بها.

ممدوح وقبل أن يكون فنانا يمتلك مهارة وموهبة فريدة من نوعها، هو شاب رياضي تبرز في لعبة الملاكمة والتايكوندو، وقطع فيهما شوطاً طويلاً، ونظراً إلى ملامحه وقوامه الجسدي القوي لقبه مدرّبوه وأصدقاؤه بـ«تاييسون»، فانتقل معه اللقب منذ بداية مشواره الفني



مسيرته الفنية كانت قصيرة، مثل "الحفلة"، و"قرش وغطا"، و"شد أجزاء"، لكنها كانت ملفتة للنظر، ومميزة عند الجمهور، وفي كل منها موقف أو عبارة يصعب نسيانها، وظلت محفورة في الأذهان باسم ممدوح، وحتى أدواره الثانوية في الدراما، مثل "سيدنا السيد"، "طريقي"، "ظرف أسود"، "إمبراطورية مين"، تركت بصمة لدى المشاهد.

أكثر ما يميّزه أنه عدو النمطية، ومن المستحيل أن يكرر نفس الشخصية التي أداها في أي عمل فني، بعكس الكثير من الفنانين الشباب، الذين أصبحوا متهمين بالعجز عن التغيير وتداول أعمالهم في فلك واحد تقريباً، مثل الممثل المصري محمد رمضان الذي ما زالت تستهويه أعمال البلطجة وتجاوز القانون وفرض السطوة وأخذ الحق بالقوة.

اعتاد ممدوح أن يغيّر من جلده، ويستطيع بكل سهولة أن يقدم الكوميديا بنفس براعة الحزن والألم، فهو الذي لعب دور طالب فاشل في مسلسل "باب الخلق"، وكان يثير ضحكنا المشاهدين مع تصرفاته وكلامه، وأبكى الجمهور في مسلسل "جراند أوتيل"، بعدما اكتشف خيانة زوجته، وحصل وقتها على جائزة أفضل ممثل مساعد من خلال دوره في المسلسل.

يملك مهارة عالية في مخاطبة الجمهور والتقارب معه، وتشرع من طريقة كلامه، أن المتحدث شخصية دبلوماسيّة بارعة في الاختيار عباراتها بدقة. ومن النادر أن يتورط في الإلقاء بتصريحات إعلامية تثير غضب الناس عليه، وقد نجح في ترسيخ حب الجمهور له، لأنه يقدّر رأي المشاهدين في أعماله، فإذا كانت إيجابية يشكرهم وينسب الفضل لهم، ولو كانت سلبية يعتذر ويتعهد بتقديم الأفضل دون أن يظهر العناد لآراء المعارضة، بل يتقبل كلامهم بصدر رحب وإبتسامة بريئة اعتاد الناس ألا تغيب عن وجهه.

الشاشة النظيفة

عندما تجرّ الجمهور على مناقشة مشكلة خارج النطق لديه وتأثر طريقة كلامه بوزنه الزائد، وعدم فهم البعض لما يقوله، خرج بكل بساطة واعتذر ووعد بالتصحيح. وسألته مذيعة قناة "العربية" عن موقفه من غضب فئة من جمهوره بسبب صعوبة فهم كلامه، فابتسم وقال "أنا أسف. اعتذرت لكل جمهوري وأعدمت بالخضوع لجلسات علاج، لكن الأمر قد يأخذ بعض الوقت". حقق مكاسب غير محدودة من التواضع مع الجمهور وتقبل آراءهم دون تكبر، وتحولت الآلاف من الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي إلى منصات للدفاع عنه والتعاطف معه، والهجوم على منتقدي طريقة مخارج كلامه، لدرجة أن كثيرا من الذين استكثروا عدم فهم ما يقوله كتبوا واعتذروا له، بعدما استقبل شكواهم بإبداء الأسف. لدى ممدوح جمهور من مختلف الطبقات والثقافات والجنسيات، فهو يقدّم كل الأدوار، الجادة والساخرة والحزينة والمضحكة، وتقتصر دور

لم يظهر ممدوح من خلف الكاميرا إلى داخل إطارها إلا عن طريق الصدفة، إذ رفض والده السماح له بالالتحاق بمعهد التمثيل، فقرر دخول كلية الحقوق، وتعرّف خلالها على ممثل مسرحي يدعى محمد خالد وأصبحا صديقين. ذات يوم اصطبه إلى بروفة مسرحية "اهلا يا بكوات"، وعرض عليه المخرج تقديم دور صغير، فوافق بعد إلاح من صديقه، ونجح في المشهد ببراعة، حيث كان يشاركه على المسرح النجمان عزت العاليلي وحسين فهمي.

حجز لنفسه مكانة مرموقة داخل الوسط الفني منذ بداية ظهوره. ففي عام 2007، وهو العام التالي لعرض المسرحية، انضم إلى فريق مسلسل "الحظات حرجة"، وبعد تالقه عاد للمسرح مرة أخرى عام 2008 للمشاركة في المسرحية الكوميديّة "زكي في الوزارة".

كانت المشاركة السينمائية الأولى لممدوح في فيلم "إبراهيم الأبيض" مع النجم أحمد السقا، عام 2009، بداية انطلاقته الحقيقية، ومن بعدها لم يشارك في أي عمل سينمائي أو درامي، إلا وخرج منه إلى عمل آخر، ودور أكبر ومساحة أوسع تظهر الكثير من إمكانياته إلى جانب خفة الظل التابعة من كل موقف يؤديه، وكان إبداعه الكبير في فيلم "تراب الماس".

عدو النمطية

مثملاً دخل الفن صدفة، حصل على الدور الأهم في مسيرته الفنية أيضا بالصدفة، حيث كان تم ترشيح الفنان ماجد الكدواني في فيلم "الفيل الأزرق"، لكنه اعتذر، فوقع الاختيار على ممدوح ليؤدي دور طبيب قادم من الريف إلى المدينة مليء بالحدق على الجميع، ومن بعدها قام بدور زوج ضعيف الشخصية في "كديّة كل يوم"، والضابط الفاسد في "ولاد رزق".

ومهما بلغت مساوئ الشخصية التي يتقمصها لا تملك إلا أن تحبه عندما يقدم المشهد، فقد كان فاسداً في "ولاد رزق"، لكن الناس أثنّت عليه، وكان مدمنا وبناعا للمخدرات في "يوم ما لوش لازمة"، لكن الجمهور لم يشعر بأنه يروج للإدمان والتعاطي وأفساد أخلاقيات الشباب، بل يناقش أزمة مجتمعية بشكل احترافي.

صحيح أن الكثير من الأعمال السينمائية التي شارك فيها مع بداية

وعندما شارك في عملين متناقضين تماماً خلال دراما شهر رمضان الماضي، عاش أدق التفاصيل، بملامحها وصفاتها ومزاياها وعبوبها دون أن يطغى أي منهما على شخصيته. قام بدور تاجر مخدرات صاحب أفكار شيطانية، يتحدث اللهجة الصعيدية في مسلسل "ولد الغلابة" مع أحمد السقا، ودور ضابط شرطة يطارد مجموعة قتلة، في مسلسل "قابيل".

مساحات صغيرة

سهلت المصادفة الفنية التي يمتاز بها ممدوح مهمة وصوله إلى النجومية. والأهم من ذلك، أنه لا يتعالى على أي عمل فني يُعرض عليه، حتى لو كان هامشياً، أو يستغرق بضع دقائق طوال المسلسل أو الفيلم، ولا يرى في ذلك تقليلاً منه، مهما بلغت نجوميته، بل يقبل تمثيل المشاهد، سواء قام خلالها بدور كبير أم صغير.

يتعمّد في كل عمل فني ترك بصمة وأثر صعب النسيان، لأنه يؤدي الدور الثانوي بحماس الفنان صاحب البطولة المطلقة، وإن كان دوره عبارة عن شخص صامت أو عاجز، لا يتفوه بكلمة ولا يتحرك خطوة، فإنه يخطف انتباه المشاهد بنظرات العين وتعابير الوجه، بغض النظر عن طول أو قصر المساحة الممنوحة له في العمل الفني.

يفهم البعض أن قبول ممدوح المشاركة بمساحات صغيرة في أعمال فنية مختلفة، نوع من الإفلاس والإيحاء بالنجومية أو البحث عن "شوق"، لكنّه يعتبر كل مشهد يقف خلاله أمام الكاميرا إضافة إليه وزيادة في رصيده عند الجمهور، لأن الفنان الذي يتعالى ويعتبر نفسه نجماً خارقاً والبطل الأوحّد طوال الوقت سوف يخفي سريعاً، ولن تستغف له نجاحاته السابقة.

الفن والصدفة

قال في أحد حواراته الفنية "أحب تقديم جميع الأدوار، بشرط التأكد من أن الدور فيه شيء جديد، وسأقدم من خلاله شخصية لافتة، تشبعني شخصياً مهما كان حجمه، فلا أهتم أو يشغلني مطلقاً مساحة أو حجم الدور، ولا أقف عند هذه النقطة، وأهمية الدور وهدفه داخل دراما الأحداث، هي البطولة بالنسبة إليّ".



● الدور الأهم في مسيرته الفنية هو دوره في فيلم "الفيل الأزرق" الذي أدى فيه ممدوح دور طبيب قادم من الريف إلى المدينة مليء بالحدق على الجميع، قبل أن يتوج أعماله بدوره المتميز في مسلسل "قابيل" الذي عُرض مؤخراً.